بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مِن عَبدالعَزيز بن عَبدالله بن بَاز إلى مَنْ يَطّلعُ عليهِ مِن المُسلِمين:

وفّقني اللهُ وإيّاكُم للتذكُّر والاعتِبار، والاتِّعَاظ بِما تجْرِي به الأقدَار، والمُبادرة بالتّوبة النّصُوح مِن جَميع الذُّنُوب والأوزَار. آمين.

السّلامُ عَليكُم ورَحمَةُ اللهِ وبَركَاتُه

أمّا بَعد: فإنّ الله ﷻ بحكمَته البَالِغَة، وحُجّته القَاطِعة، وعِلمِه المُحِيط بكُلّ شَيء، يَبتَلِي عِبَادَهُ بالسرّاء والضرّاء، والشدّة والرّخاء، وبالنِّعم والنِّقَم، ليمتَحِنَ صَبرهُم وشُكرَهم. فمَن صَبر عِند البَلاء، وشكَر عِندَ الرَّخاء، وضرَع إلى الله سُبحَانه عِند حُصُول المَصائِب، يشكُو إليه ذنُوبه وتقصِيرَه، ويسألهُ رحمَتَهُ وعفوَهُ، أفلَح كُلّ الفَلاح وفَاز بالعَاقبة الحَمِيدة، قال الله جلَّ وعلاَ في كِتابه العَظيم: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت].

والمَقصُود بـ «الفتنة» في هذه الآية: الاختبَار والامتِحَان، حتَّى يتبيَّن الصَّادق مِن الكَاذِب، والصَّابر والشَّاكر، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾ [الفرقان:20]، وقال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ [الأنبياء:35]، وقال تعالى: ﴿وَبَلَوۡنَٰهُم بِٱلۡحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأعراف:168].

و«الحَسناتُ» هُنا هِي النِّعم، مِن الخصب والرخَاء والصحة والعزّة، والنّصر على الأعدَاء ونَحو ذَلك، و«السيئات» هُنا هي المَصائب، كالأمرَاض وتسليط الأعدَاء والزلازل، والرِّيَاح العَاصِفة والسُّيُول الجَارِفة المُدمِّرة ونَحو ذلك، وقَال ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٤١﴾ [الروم]، والمَعنى أنه سُبحانَه قدَّر ما قدَّر مِن الحَسنات والسيئات

وما ظَهر مِن الفَساد، ليرجِعَ النَّاسُ إلى الحقِّ، ويُبَادِرُوا بالتوبة مِمَّا حرَّم الله عليهم، ويُسارِعُوا إلى طاعَة الله ورَسُوله، لأنَّ الكُفر والمَعاصي هُما سَبَبُ كُلّ بَلاء وشَرٍّ في الدُّنيا والآخِرَة.

وأمَّا تَوحِيدُ الله والإيمَانُ به وبرُسُله، وطاعَتِه وطاعة رُسُله، والتمسّك بشرِيعَته، والدَّعْوة إليهَا، والإنكَار على مَن خَالَفَها، فذَلِك هو سَبب كُلّ خير في الدُّنيا والآخِرة، وفي الثبات على ذَلك والتواصِي به والتعاون عَليه، عِزُّ الدُّنيا والآخِرة، والنَّجاةُ من كُلِّ مَكرُوهٍ، والعَافِية من كُلِّ فِتنَةٍ، كمَا قالَ سُبحَانَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد: 7]. وقال تعَالَى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج]، وقالَ تعَالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور]، وقالَ تعَالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف].

وقَد بيَّنَ سُبحَانه في آياتٍ كَثِيرَاتٍ أنَّ الَّذي أصَاب الأمَم السَّابقة مِن العَذَاب والنّكَال بالطُّوفان والرِّيح العَقِيم والصَّيْحَة والغَرقِ والخَسْفِ وغير ذلك كلّه بأسبَاب كُفرِهِم وذُنُوبِهِم، كمَا قالَ ﷻ: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٤٠﴾ [العنكبوت]، وقالَ تعَالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾ [الشورى].

وأمرَ عِبَادَهُ بالتوبة إليه، والضرَاعة إليه عِند وقُوع المَصائب، فقَال سُبحَانَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التحريم:8]، وقالَ تعَالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور:31]، وقالَ تعَالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٢ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٤٣﴾ [الأنعام].

وفي هَذِه الآية الكَرِيمَة حثٌّ مِن الله سُبحانه لعِبَاده، وترغِيبٌ لهُم إذا حلَّت بهم المَصائِب مِن الأمرَاض والجِرَاح والقِتَال والزلازِل والرِّيح العَاصِفة وغير ذلك مِن المَصائِب، أن يتضرَّعُوا إليه ويَفتقِرُوا إليه فيسألوه العَوْن، وهذَا هو معنَى قوله سُبحَانه: ﴿فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾، والمَعنَى: هَل إذ جاءَهُم بأسُنا تضرَّعُوا.

ثم بيَّن سُبحانَه أنَّ قَسوَة قُلوبهم، وتزيين الشيطان لهُم أعمَالهم السيئة، كلّ ذلك بسبَب صدِّهم عن التوبة والضراعة والاستغفَار، فقال ﷻ: ﴿وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

وقد ثبتَ عن الخَليفة الرَّاشِد رَحِمَهُ اللهُ، أمير المُؤمنين عُمر بن عبدالعَزيز، أنَّه لمَّا وقعَ الزِّلزَالُ في زمَانِه كَتبَ إلى عُمَّالِه في البُلدَان وأمرَهُم أن يأمرُوا المُسلِمين بالتوبة إلى الله والضرَاعة إليه والاستغفَار من ذُنُوبِهم.

وقَد عَلِمتُم أيُّها المُسلمون ما وقعَ في عَصرِنا هذَا مِن أنواعِ الفِتَن والمَصَائِب، ومن ذلك تسليط الكفّار على المُسلمين في أفغانستان والفلبين والهند وفلسطين ولبنان وأثيوبيا وغيرها. ومن ذلك ما وقع من الزلازل في اليمن وبُلدان كثيرة، ومن ذلك ما وقع من فيضانات مدمّرة، والريح العاصفة المدمرة لكثير من الأموال والأشجار والمراكب البحرية وغير ذلك، وأنواع الثلوج التي حصَل بها ما لا يُحصَى من

الضرر، ومن ذلك المَجاعة والجَدبُ والقَحْط في كثير من البُلدان، وكل هذا وأشباهه من أنواع العقوبات والمَصائِب الّتي ابتلى الله بها العِباد بأسباب الكُفر والمَعاصي، والانحراف عن طاعته سُبحانه، والإقبال على الدُّنيا وشهوَاتها العاجِلة، والإعراض عَن الآخرة، وعدم الإعدَاد لها إلا مَنْ رَحِم الله مِن عباده.

ولا شكَّ أنَّ هذه المَصائِب وغيرها تُوجِبُ على العِباد البِدَار بالتوبة إلى الله سُبحانه من جَميع ما حرَّم الله عليهم، والبِدَار إلى طاعَته وتحكِيم شَريعَته، والتعاون على البِرِّ والتَّقْوى، والتَّواصِي بالحقِّ والصَّبْر عَليه، ومتَى تَابَ العِباد إلى ربِّهم وتضرَّعُوا إليهِ، وسَارَعُوا إلى ما يُرضِيه، وتعَاوَنُوا على البرّ والتقوى، وتآمَرُوا بالمَعرُوف وتنَاهَوْا عن المُنكَر، أصلَح اللهُ أحوَالَهُم، وكفَاهُم شَرَّ أعدَائِهم، ومَكَّنَ لهُم في الأرض ونصَرَهُم علَى عَدُوِّهم، وأسْبَغَ عليهِم نِعَمَهُ، وصَرَفَ عنهُم نِقَمَهُ، كمَا قال سُبحَانَهُ وهو أصدَقُ القَائِلين: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:47]، وقالَ تعَالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[الأعراف]، وقالَ تعَالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ [هود]، وقَال تعَالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور]، وقَالَ تعَالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[التوبة].

فأوضَح ﷻ في هذه الآيات أنَّ رحمَتَهُ وإحسَانَهُ وأمنَهُ وسَائِر نِعَمِه إنَّما تحصل على الكمَال المَوصُول بنعيم الآخِرة لِمَن اتّقاه وآمَن به، وأطاعَ رُسُلَه واستقَام على شَرعِه، وتابَ إليه مِن ذُنوبه، أمَّا مَنْ أعرَض عَن طَاعَتِه، وتكبَّر عن أدَاء حقِّه، وأصرَّ على كُفرِه وعِصيَانِه، فقَد توعَّدَهُ سُبحانَهُ بأنواع العُقوبَات في الدُّنيا والآخِرة وعجَّل لَهُ من ذلك ما اقتضَتْهُ حِكمَتُه ليكُون عِبْرَةً وعِظَةً لغَيْرِه، كما قَالَ سُبحَانَه: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام].

فيَا مَعْشر المُسلمِين! حَاسِبُوا أنفُسَكُم وتُوبوا إلى ربِّكُم واستَغفِرُوه، وبادِرُوا إلى طَاعَتِه، واحذَرُوا مَعصِيَتَهُ، وتعَاونُوا على البر والتقوى، وأحسِنُوا إنَّ الله يُحِبُّ المُحسِنين، وأقسِطُوا إنَّ الله يُحِبُّ المُقسِطِين، وأعِدُّوا العُدَّة الصَّالِحَة قبل نزُول المَوْت، وارحَمُوا ضُعَفَاءَكُم، ووَاسُوا فُقَرَاءَكُم، وأكثِرُوا مِن ذِكرِ اللهِ واستِغْفَارِه، وتآمَرُوا بالمَعرُوف وتَنَاهَوْا عَن المُنكَر لعلَّكُم تُرحَمُون، واعتَبِرُوا بِمَا أصَابَ غيرَكُم من المَصَائِب بأسبَاب الذُّنُوب والمَعَاصِي، واللهُ يتُوبُ على التَّائِبين، ويرحَمُ المُحسِنِين، ويُحسِنُ العَاقِبَة للمُتَّقِين، كمَا قَالَ سُبحَانَه: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:49].

واللهُ المَسؤُول بأسمَائِه الحُسنَى وصِفَاتِه العُلا أنْ يَرحمَ عِبَادَه المُسلمِين، وأن يفقِّهَهُم في الدِّين، ويَنصُرَهُم على أعدَائِه وأعدَائِهِمْ مِن الكفّار والمُنافقِين، وأن يُنزل بأسَه بهم الَّذي لا يُرَدُّ عن القَوم المُجرمين، إنَّه وَلِيُّ ذَلِكَ والقَادِرُ عَليه.

وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلى نبيِّنا مُحمَّد وعلَى آلِه وأصحَابِه والتَّابِعين لهُم بإحْسَانٍ إلى يَومِ الدِّين.

والسَّلامُ عَليكُم ورَحمَةُ اللهِ وبَركَاتُه.

«مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز» (2/ 126)

وجوب الرجوع إلى الله عز وجل

والضراعة إليه عند نزول المصائب

لسماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله

مكتبة العلم الصافي

شارك في نشر هذه المطوية لتكون لك حسنة جارية